

مفهوم العنونة

يعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس ، حيث يساهم في توضيح دلالات النص ، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية ان فهما وأن تفسيراً وأن تفكيكاً وان تركيباً. و هو المفتاح لسبر أغوار النص ، والتعمق في عوالمه.

والعنوان هو الأداة التي يتحقق بها اتساق النص وانسجامه ، وبه يستقطب القارئ ، تكشف العنوان مقاصد النص المباشرة وغير المباشرة. فالنص هو العنوان ، والعنوان هو النص ، وبينهما علاقات جدلية وانعكاسية ، او علاقات تعيينية أو إيحائية ، أو علاقات كلية او جزئية.

قد يحمل الكتاب عنوانا مركزيا وعنا فرعيا ، وهو إشارة تحدد بدقة موضوع الكتاب ، فداخل الكل الشاسع الذي يميل إليه العنوان المركزي ، نجد تخصيصاً لجانب من جوانب الموضوع ، أو مسألة خاصة أو نموذج بعينه.

كما أن العناوين الداخلية تسم الأجزاء الصغرى الداخلية وتحدد مضامينها أو توحى بها ، أو ترتبط بها بأي شكل من أشكال الارتباط التام أو الجزئي : حالة الدواوين الحديثة مثلاً ؛ إذ قد لا يكون عنوان القصيدة دالاً عليها مباشرة.

اهتمت الدراسات النقدية المعاصرة بدراسة العنوان ، وظهرت بحوث ودراسات عديدة تعنى بالعنوان وتحليله من نواحيه التركيبية والدلالية والتداولية ، فالعنوان يسهم في ضبط انسجام النص ، وفهم ما استعصي منه .

أول ما يقف عليه القارئ هو العنوان. لذا فهو ذو صلة وثيقة بافق انتظار القارئ ، حيث تتعدد فهم مستويات هذا الأفق ، إن افق هذا الانتظار يتحدد بالعنوان أولاً ليكون سبباً للولوج النص .

ويؤكد جون كوهن على ان النثر – علمياً كان أو أدبياً – يتوفر دائماً على العنونة ، والتي هي من سمات النص النثري البارزة كيفما كان النوع ، لأن النثر

قائم على الوصل والقواعد المنطقية ، في حين يمكن للشعر أن يستغني عن العنوان ، مادام يستند إلى اللا إنسجام ، وبالتالي، يفتقر إلى الفكرة التركيبية التي توحد شتات النص المبعثر.

العنوان لغة واصطلاحاً :

وردت في لسان العرب مجموعة إشارات متعلقة بالعنوان ومرتبطة بالعني والإظهار: ((عنت القربة تعنو إذا سال ماؤها ، وقال الأصمعي : عَنَوْتُ الشيء : أبديته ، وأعني الغيث النبات كذلك، ومنه المعنى وهو القصد والمراد ، ومنه اشتق فيما ذكروا عنوان الكتاب. قال ابن سيده: العُنْوَان والعِنْوَان سمة الكتاب ، وعنونه عُنُونَةٌ وَعُنُونًا وعناه ... وَسَمَهُ بالعنوان.

وقال العكبري: ((عنوان الكتاب، ما يعرف به ... ويقال : عنوان وعُنْيَان وعُنْوَان وعُنْوَان ، وجمعه عناوين وعلاوين ...)).

العنوان وفق ذلك إظهار لخي ووسم للمادة المكتوبة ، فالكتاب يُخفي محتواه ، ولا يفصح عنه ، ثم يأتي العنوان ليظهر أسرارها ، ويكشف العناصر الموسعة الخفية أو الظاهرة بشكل مختزل وموجز.

قال السيوطي: ((عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله)) ؛ إنه مادة لغوية ترتبط بموضوعها الكلي الذي تُعنونه، وتعمل على تلخيص المقاصد الكبرى والرئيسة فيه .

العنوان عند العرب القدامى:

لقد اهتم العرب القدماء بأسماء آبائهم ، وأبنائهم ، فكانت المعرفة بالأنساب علماً ودراية ذات قيمة عالية عند من يتقنها ، فالأسماء ، وما تدل عليه لها مكانة بالغة عند العرب .

نسبت العرب الأشعار إلى قائلها ، وذكرت رواياتها ، وربما تطرقوا إلى اختلاف الرواة ، أو اختلاف الرواية ، وهنا يمكن أن نذهب إلى مؤلفين مبكرين ، شغلا بالتعريف بالشعر وقائله ، وهما : محمد بن سلام الجمحي (139 – 232 هـ) ، في كتابه : “طبقات فحول الشعراء” ، وابن قتيبة (213 – 276 هـ) ، في كتابه : “الشعر والشعراء” ..

و أبان الخليل بن أحمد الفراهيدي في " كتاب العين " عن طريقته في تحديد أصول الكلمات ، وتقلباتها ، ومن ثم إمكان حصرها ، فإذا عرض لسبب تسمية هذا المعجم بـ(العين) ذكر أن الخليل بن أحمد مضى في أثر المتقدمين من المؤلفين العرب ، الذين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم إلى مثل هذا ، وهو تسميته بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ..

أي تسمية القصيدة بمطلعها ، فنقول قصيدة : (هل غادر الشعراء) لعنترة – و(قفا نبك) لامرئ القيس – و(بانث سعاد) لكعب بن زهير .. وهكذا . وهذه إحدى وسائل "العنونة" التي اختصت بها الثقافة العربية ، وليس لها سابقة في ثقافة أخرى ، ويمكن أن نضيف في هذا السياق أن ذكر المطلع كعلامة ، أو عنوان يمكن أن يتخلى عن موقعه في مواقف بعينها ، ليفرد مكانا لتخصيص أكثر دقة ، ويتجلى هذا في ذكر قافية القصيدة المختارة ، أو المقصودة بالإشارة ، كأن نقول : (لامية العرب) للشنفرى ، و(تائية) كثير عزة، و(سينية) البحتري ، و(همزية) البوصيري .. وهكذا .

المراجع :

- دراسة الدكتور بسام قطوس بعنوان : "سيمياء العنوان" – بسام موسى قطوس – الناشر : مكتبة كتانة ، إربد – 2001 ، يختار عدداً من عناوين الدواوين ، مثل : (حليب أسود) للمتوكل طه – ص54 ، و (شيء كالظل) للشاعر عفيفي مطر ، كما يتوقف عند (لافتات) أحمد مطر- ص83 ، وبعض عناوين قصائد معين بسيسو ، وسميح القاسم ، ومحمود درويش .
- العنوان في الأدب العربي : النشأة والتطور – الدكتور محمد عويس – مكتبة الأنجلو المصرية – طبعة أولى – 1988
- محمد فكري الجزار ، بعنوان : "العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي" – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1998 ، في النصف الثاني من دراسته يتجه إلى مقالات ، ودراسات ، ودواوين شعر ، وروايات حديثة . تنظر الصفحات 48 ، 49 ، 69 ، 72 ، 82 ، 115 ، 121 ، وغيرها .